

مجمع اللغة العربية بأبوظبي

حفلة تأييد الأستاذ الدكتور

موفق دعبول

رحمه الله

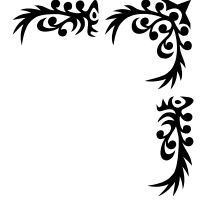


مجمع اللغة العربية دمشق

حفلة تأبين الأستاذ الدكتور

موفق دعبول

رحمهُ اللهُ



فَدَلَّ عَلٰى اٰمِنُوْا كَمَا اَتَاكَ الْعُرْسُ حَا
بِرًا



حفلة تأبين

الأستاذ الدكتور موفق دعبول

رحمه الله

أقيم في الساعة الثانية عشرة والنصف من يوم الأربعاء ٢٢ صفر ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٩ أيلول ٢٠٢١م بقاعة الدكتور أحمد منيف العائدي في مجمع اللغة العربية بدمشق احتفالاً لتأبين للراحل الكبير الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله.. وقد اختار الله فقيدها إلى جواره في ١٣ رجب ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٤ شباط ٢٠٢١م بعد رحلة طويلة حافلة بالعلم والعطاء..

افتتح الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم قرأها الأستاذ رياض عطايا، ثم ألقى الكلمات التأبينية الآتية:

- ❖ كلمة مجمع اللغة العربية ألقاها الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع.
- ❖ كلمة جامعة دمشق ألقاها الدكتور محمد يسار عابدين رئيس الجامعة.
- ❖ كلمة أصدقاء الفقيد ألقاها الدكتور محمود السيد.
- ❖ كلمة صديق الفقيد الدكتور خضر أحمد ألقاها الأستاذ مروان البواب.
- ❖ كلمة طلاب الفقيد ألقاها الدكتور محمود باكير.
- ❖ كلمة آل الفقيد ألقاها نجله الدكتور بشر موفق دعبول.

كلمة عريف الحفلة

للأستاذ محمد زياد حلمي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥]..

صدق الله العظيم

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين رئيس جامعة دمشق.

السادة أعضاء المجمع الأكارم.

السادة الضيوف الأعزاء.

أيتها السيدات أيها السادة.

طبتم وطاب مسعاكم، فقد حللتم أهلاً، ووطئتم سهلاً، أهلاً بكم في رحاب مجمع الخالدين، مجمع اللغة العربية بدمشق، الصرح الثقافي والعلمي العريق، الذي تجسّم عناء الحفاظ على اللغة العربية قرناً من الزمان، وكان أعضاؤه منذ تأسيسه، مخلصين في دعوتهم، مخلصين في

محبّتهم لوطنهم وللغتهم الأم، عنوان وجودهم، وأساس هويّتهم، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم ما زال مرابطاً على تخوم العربية ينافح عنها، ويذود عنها كل محاولات الطمس والتهميش، يبذل جهده ووقته، ويقدم خلاصة تجاربه رخيصةً فداءً للغته وعرويته.

وها نحن اليوم في احتفالٍ لوداع أحد أولئك العلماء العاملين من أصحاب اليد الطولى في الثقافة العربية، العالم الجليل عالم الرياضيات المبدع الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله، وجزاه عن أمته خير الجزاء قدر ما قدم لها طوال حياته من علم ومعرفة.

لقد غيَّبه الموت، غيَّب جسده لكن روحه وعلمه ونتاجه، كل ذلك ما زال مائلاً أمامنا نستقي من معينه، ونغرف من سلساله شربة سائغة لا ظمأ بعدها ولا جهل، رحمه الله رحمة واسعة وأنزل على قبره الرحمات.

أيها الأكارم، نقول لفقيدنا الغالي، وروحه تطوف بيننا مستأنسة بإذن الله: سنفتقدك أيها العالم الجليل، سنفتقد كلماتك المنيرة، سنفتقد حكمتك ورزانتك، نستودع روحك عند أرحم الراحمين، وسنكون على خطاك علماً، وعطاءً، وبذلاً.

علوّ في الحياة وفي المماتٍ لحوّ أنت إحدى المعجزات
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يُخفّف بالدموع الجاريات
عليك تحيةُ الرحمن ترى برحماتٍ غوادٍ رائحاتٍ

رحمه الله وألهم أهله الصبر والسلوان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

أيها الحفل الكريم

إن وجودكم اليوم في هذه القاعة تأكيد لما لفقيد مجمعنا الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله من قيمة شخصية وعلمية، كما هو تأكيد لمكانة مجمع اللغة العربية لديكم، وهو الذي يمثل الهيئة الرسمية السورية المسؤولة عن إبقاء لغتنا قادرة على متابعة مسارات الحداثة العلمية والحضارية في التعليم وفي الممارسات العلمية.

ولذلك فإن ما هو معروف عن فقيدنا وعن مشاركته الفعالة في التطور العلمي في بلادنا قد جعله يُنتخب عضواً عاملاً في مجمعنا عام ٢٠٠٢، اعترافاً بمقدرته على دعم نشاطات المجمع في هذه المجالات،

إذ كانت سيرته العلمية مثاليةً بدأها بنيل بكالوريوس في العلوم الرياضية والفيزيائية عام ١٩٥٧ من جامعة دمشق، وأكملها بشهادة الدكتوراه في العلوم الرياضية متخصصاً بميكانيك السوائل، وهو تخصص دقيق يتطلب مستوى معرفياً عالياً في الرياضيات. وتم تخرجه بالدكتوراه في جامعة فيينا التقنية بالنمسا عام ١٩٦١.

ثم عُيِّن مدرساً في جامعة دمشق عام ١٩٦٣ وارتقى إلى رتبة أستاذ مساعد عام ١٩٦٨ وإلى رتبة أستاذ عام ١٩٧٣ وأصبح رئيساً لقسم الرياضيات في كلية العلوم من عام ١٩٨٣ إلى عام ١٩٩٦. ولما أبرز اهتماماً كبيراً في تطور العلوم، تولّى رئاسة تحرير مجلة جامعة دمشق للبحوث العلمية، من عام ١٩٨٥ إلى ٢٠٠١، وشارك في تحرير الموسوعة العربية خبيراً في الرياضيات منذ عام ١٩٨٧. ومنذ أن تشكّلت الجمعية السورية للمعلوماتية كان فقيداً أحد مؤسسيها وعضواً في مجلس إدارتها منذ عام ١٩٨٨، ورئيساً لتحرير مجلة الثقافة المعلوماتية.

وإلى جانب هذه النشاطات والمسؤوليات العلمية، عُيِّن رئيساً للجنة المقررين في المجلس الأعلى للعلوم من عام ١٩٩٢ حتى ٢٠٠١ ثم بقي على اتصال بالمسارات العلمية الدولية عضواً في الجمعية الأميركية للرياضيات، كما تولى منصب وكيل جامعة دمشق للشؤون العلمية من عام ١٩٩٧ إلى ٢٠٠١.

أيها الحفل الكريم

إن تدريس المواد العلمية باللغة العربية يتطلب مجهوداً كبيراً لإيصال العلوم بتفاصيلها السريعة التطور، إلى طالب يتدرّج في فهم المصطلحات العلمية الأجنبية لنقلها إلى اللغة العربية، ولا يكون ذلك إلا بشروح دقيقة تبرز أهمية كل مصطلح، ومدى الارتباط بينه وبين المصطلحات الأخرى. وأوضح ما يكون ذلك في علم الرياضيات، الذي يشكّل المستوى الأعلى من إدراك العلاقات وتدرّج القيم والمعايير. وهذا ما جعل فقيداً

يؤلف الكتب التدريسية المطلوبة في نواحٍ علمية دقيقة كميكانيك السوائل، وكتب في المعادلات التفاضلية والهندسة التحليلية.

ومن الملاحظ أنه رحمه الله قد اهتم كذلك بتأصيل مجهودات الرياضيين العرب القدماء حين اشترك في ندوة عنوانها: (اللغة العربية لغة العلم في الماضي والحاضر والمستقبل) عام ١٩٩٥ في دولة البحرين، كما شارك في أسبوع العلم الثالث والثلاثين بموضوع «الحركة العلمية في عصر ابن البيطار» ثم شارك بموضوع الحركة العلمية في عصر ابن ماجد الحضرائي في (الأسبوع ٣٥).

ولقد عرفناه رحمه الله في اجتماعات مجمع اللغة العربية عضواً دقيق الفهم ملتزماً بما هو مطلوب في نشاطات المجمع، سريع البديهة في تعليقه على الموضوع المطروح، كبير الالتزام بنشاطات المجمع.

أيها الحفل الكريم

لقد كان فقيدنا واحداً من العلماء الذين يمثلون أصالة ذلك المجال العلمي الحديث المسمى المعلوماتية، وهو مجال أخذ بالاتساع في خدمة تسريع العلوم الحديثة، وتأكيد إمكان توضيح ما بينها من ترابط يستطيع هذا العلم تقريبه إلى الأذهان.

وإن مجمعنا يفتقد رجاحة نظراته في البتّ فيما يُعرض على مجلس المجمع من أمور، ودقته في تحليل متطلبات كل ما يُعرض على المجلس بإبراز أهمية موقعها في مسؤوليات المجمع.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

كلمة رئيس جامعة دمشق الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين

أيها الحفل الكريم:

نجتمع اليوم لتأبين واحدٍ من جيل الأساتذة الكبار، وعَلَمٍ من أعلام العلم والتعليم في سورية والوطن العربي، وطَوْدٍ من جامعة دمشق، إنه الأستاذ الدكتور موفق دعبول، هذه الشخصية العلمية والأكاديمية الوطنية الباسقة، التي نفتقدها اليوم بعد مسيرة حافلة بالعطاء والعمل الدؤوب في خدمة الوطن وجامعة دمشق والتعليم العالي.

أيها الحضور الكريم:

لقد أعطى الراحل على مدى أكثر من خمسين عاماً كل ما لديه بلا حدود، ودون كلال أو ملال، في رسالة العلم ومهنة التدريس في كلية العلوم وجامعة دمشق ووزارة التعليم العالي، بكل ما تحمله هذه المهمة والرسالات في طياتها من المعاني، فضلاً على شغله العديد من المواقع العلمية والمناصب الإدارية الهامة، فشخصيته المتميزة كانت نموذجاً يحتذى به، لجهة التنوير والمعرفة والتفاني في أداء الواجب والإخلاص في العمل، مع حرصه وعنايته على تقديم العلم بصوره المتعددة للأجيال الجديدة دون تردد أو مَلَل.

وهنا نستذكر أحد أقواله المشهورة التي لخص بها إشكالية الولاء والأداء في العمل: «الإخلاص يكون قبل الاختصاص، فالإخلاص عطاء مشروط واحتكار العلم جريمة بحق الإنسانية، وإخلاص بلا اختصاص يعني أن المرء لا يملك ما يعطيه».

أيها الحضور الكريم:

لقد أدرك الراحل الدكتور موفق دعبول أهمية الفكر العلمي، وضرورة العمل به والاهتمام بإيصاله إلى كل الناس. كما عُرف عن الراحل اهتمامه وشغفه باللغة العربية إلى جانب الرياضيات وترك في هذين الحقلين أربعين كتاباً، إضافة إلى قيامه بتأليف وترجمة العديد من الكتب العلمية القيّمة. وقيامه بإجراء عشرات البحوث العلمية النوعية في هذين الحقلين الهامّين.

أيها الحفل الكريم:

يتنابني شعوراً مزدوجاً ما بين العرفان والتقدير للإسهامات العلمية التي قدمها الراحل في خدمة العملية العلمية والتعليمية بجامعة دمشق، وما بين الحزن العميق، على رحيل هذا الرجل العصامي، الذي أمضى حياته في خدمة العلم والتعليم والبحث العلمي، والتي مارسها بكل أخلاقياتها. وأظن أن مثل هؤلاء الرجال لا يرحلون، إنهم يستمرون فينا ومعنا بفكرهم وأخلاقهم ووطنيتهم ويستمرون في ذاكرة الجامعة والوطن. للدكتور الراحل الرحمة والمغفرة، والعزاء والصبر لأهله وأصدقائه وطلابه ومُحبّيه، ولنا نحن في جامعة دمشق العزاء فيما تركه لنا من أثر طيب ونتاج علمي ومعرفي تستفيد منه الأجيال.

* * *

كلمة أصدقاء الفقيه

الأستاذ الدكتور محمود السيد

أيها الأخوات، أيها الإخوة، أيها الحفل التأييني الكريم:
أسعد الله أوقاتكم.

ما كنت أحسبني يوماً أن أقف مؤبناً فقيد العلم والوطن الصديق الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله، الذي تزيد معرفتي به على أربعين عاماً، إذ تزامننا معاً في لجان عدة، وتوطدت وشائج الصداقة بيننا انسجاماً في الرؤية، واحتراماً في التعامل، واتفاقاً في معالجة الأمور في الأعم الأغلب.

كان أول لقاء بيننا في لجنة تعادل الشهادات بمجلس التعليم العالي، عندما كان المجلس وكلية التربية بجامعة دمشق في مبنى واحد في ثمانينيات القرن الماضي، واشتركنا معاً في تقويم الإنتاج العلمي لبعض المرشحين للتعين في عضوية الهيئة التدريسية في جامعة دمشق، وكانت رؤيتي ورؤية فقيدنا منسجمتين في عملية التقويم، وأعجبت يومها بموضوعيته.

وعندما كان رئيساً لتحرير مجلة جامعة دمشق، طالما اجتمعنا لتداول

الرأي في البحوث المقدمة للنشر في المجلة، وكان حريصاً أيما حرص على انتقاء البحوث الجادة والأصيلة في منأى عن أي مجاملة أو تساهل في صلاحية هذه البحوث، وأميناً على إنفاذ ما أسند إليه بكل كفاية، وأعجبت بغيرته على سلامة اللغة العربية ومحفته لها.

وفي أثناء تسلمي عمادة كلية التربية بجامعة دمشق عام ١٩٨٦ طلب إلينا رئيس الجامعة آنذاك الأستاذ الدكتور زياد شويكي شفاه الله أن نتدرب على استعمال الحاسوب في قسم الرياضيات بكلية العلوم، وكان فقيدنا وقتها رئيساً لقسم الرياضيات في الكلية، وجرى التدريب بإشرافه، وعندما افتتح قسم المعلوماتية في كلية العلوم كان بإشرافه، وكانت ابنتي الدكتورة رفيف قائمة بالأعمال بعنايته الحانية في هذا القسم آنذاك، قبل أن تحدث كلية الهندسة المعلوماتية حيث صار عميداً لها الدكتور عماد مصطفى رعاه الله.

ثم تعددت لقاءاتنا في مكتبه عندما غداً وكيلاً لجامعة دمشق للشؤون العلمية، فكان رحمه الله يدقق في تقارير فحص الإنتاج العلمي لأعضاء الهيئة التدريسية المرشحين للترقية من مرتبة إلى أخرى، ويشكو بمرارة عندما يجد خروجاً عن النواظم والمعايير المعتمدة في الترقية.

وعندما تسلّمت وزارة التربية عام ٢٠٠١ كان رحمه الله يحضر الاجتماعات التي كنت أعقدها للجنة المعلوماتية في الوزارة، ويسهم في تطوير أعمال هذه اللجنة، وكنت أستشيريه في تطوير مناهج الرياضيات في المرحلة قبل الجامعية، ولا يمكن أن أنسى حماسه للغته الأم العربية الفصيحة، وحرصه على وضع الرموز العلمية باللغة العربية في المعادلات

الرياضية، وردّه على حجج الداعين إلى أن وضع المعادلات بالرموز الأجنبية يسهّل على الطلبة الدارسين دراستهم الجامعية.

أما زمالتنا في مجمع اللغة العربية، فقد تجسّدت في أعمال لجان عدة منها لجنة النشاط الثقافي، ومكتب المجمع وجلسات المجمع، ولجنة تقويم عمله ولجانه. وأما عملنا معاً في لجنة التمكين للغة العربية برئاسة برئاستي فقد استمر خمسة عشر عاماً، بدءاً من تاريخ تشكيلها في بداية عام ٢٠٠٧ إلى حين وفاته رحمه الله عام ٢٠٢١، وكان عمل اللجنة يجدّد بقرار جمهوري سنوياً. كما عملنا معاً في لجنة النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، التي شكّلت بقرار جمهوري بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي في دمشق عام ٢٠٠٨.

ولم تقتصر العلاقة بيننا على الزمالة في اللجان، وإنما امتدت إلى مراكز التواصل الاجتماعي حيث كنت أبادل معه الأخبار والمعلومات والطرف ووجهات النظر.

تلك هي إشارة إلى المواقع التي عملنا فيها معاً، ولقد عرفته عن قرب، فعرفت فيه الصديق الصدوق، والمخلص الوفي، والرأي السديد، والتهذيب الجرم، والكياسة الفائقة، والمرونة في التفكير، كما عرفته عالماً بكل ما تحمل كلمة عالم من معانٍ ثقافيةً ومعرفةً وتواضعاً وسمواً في الخلق، ومن هنا كان غيابه خسارة للعلم والثقافة والوطن والأمة.

وعرفت فيه أيضاً الجدية في العمل، وقوة الإرادة، والاعتزاز بتراث أمته الحضاري، ولكم كانت نظرتّه إلى تراث أمته تتسم بالمنطق والصواب، عندما رأى أن نظرة القداسة إلى التراث غير صحيحة على الإطلاق، لأن في

التراث الغثّ والسمين، ويحتاج إلى الغرلة والتصفية بحيث لا نستبقي منه إلا ما يفيدنا في حاضرنا وتوجهنا المستقبلي.

لقد تعدّدت السمات الإيجابية في شخصية فقيدنا الكبير وسلوكاته، وأكثر ما كان يسترعي انتباهي احترامه للوقت تعظيماً والتزاماً به أيما التزام في الأحيين كافة، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالوقت في أكثر من آية في القرآن الكريم دلالةً على عظمته، فما اعتذر فقيدنا عبر مسيرته العملية عن عدم حضور أيّ اجتماع، إذ إنه كان يحضر الاجتماعات في مواعيدها المحددة، ويكون أول من يجيء إليها والابتسامة على محياه، والهدوء والاتزان في تبيان آرائه في هذه الاجتماعات، وحرصه الشديد على احترام وجهات النظر الأخرى بكل تهذيب ولياقة، ورفق وهدوء واحترام، وأن الاحترام لا يدل على الحب فقط، وإنما يدل على حسن التربية، كما أن أناقة اللسان هي ترجمة لأناقة الروح عند الحوار وجلاء وصراحة، فما جامل على حساب الحقيقة، ولا راعى في منأى عن المصلحة العامة، وكان في ردوده كافة يتسم بالكياسة والرفق انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»، وما رأيتَه يجرح آخرَ في أثناء حديثه، وإنما كان يعبر عن رأيه والابتسامة على محياه.

وكان رحمه الله في اجتماعاتنا كافة يقدم الأدلة المنطقية والتعليقات الواضحة والداعمة في أثناء المناقشات وردّه على ما يطرح من أفكار، فكان رأيه السديد محل تقدير وإكبار من الآخرين، ولقد كان ثمة انسجام في رؤيتنا لما يطرح ويناقش، وطالما كانت العيون تلتقي معبرة عما في القلوب والنفوس، ألم يقل شاعرنا:

والعين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو كرهه إذا كانا وأكثر ما كانت تعجبني في شخصيته النزعة التفاؤلية، والتحلي بالتفكير الإيجابي في نظرته إلى الأمور ودراسة الظواهر، فما تسلل اليأس يوماً إلى تفكيره، وإنما كان دائماً مشجعاً ومعززاً وحاتماً على الماضي في الدرب، في منأى عن كل تشييط وتيئيس، على أن يكون التفاؤل دائماً زادنا في النظرة إلى المستقبل، وكان يعدد الإيجابيات في أي موضوع مطروح، ثم يذكر بكل موضوعية ما لم يُنجز مقدماً جرعة التفاؤل بمستقبل مشرق مهما ادلهمت الخطوب وتلبدت الأجواء، وبرغم العقبات المعترضة والصعوبات الحائلة دون التنفيذ، وداعياً إلى التحلي بالصبر مذكراً إياي بالبيت الشعري الذي طالما استشهدت به في هذه الحالات وهو:

أَخْلَقَ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُذْمِنِ القرع للأبواب أن يلجا
وكان يرى أن الشكوى لا تجلب إلا الهم، في حين أن التمسك بحبل الله
يأتي بالانفراج وإبعاد الغم، والواقع ما كان الإيمان إلا نصفين أولهما الحمد
لله، وثانيهما التحلي بالصبر، وأن من يحدثنا عن زمن مخيف فعلينا أن نحدثه
عن رب لطيف، وأن مع العسر يسراً، وأن نور الفجر يجيء بعد الظلام.

ولقد أرسلت إليه رسالة عن طريق مراكز التواصل الاجتماعي عنوانها
«علمتني الرياضيات» جاء فيها:

علمتني الرياضيات:

- أن السالب بعد السالب يعني موجباً، فلا تياس فالمصيبة بعد المصيبة
تعني الفرج.

- الانتقال من جهة إلى أخرى سيغير من قيمتي، وأنه متى ما كبر المقام
صغر كل شيء.



صورة تذكارية مع زملائه أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
أمام المدخل الشمالي للمجمع (٢٠٠٢)

د. موفق دعبول - د. عادل العوا - د. زهير البابا - د. عبد الرزاق قدورة - د. عبد الكريم اليافي - د. مكي الحسيني الجزائري - د. عبد الحليم سويدان
د. مروان المحاسني - أ. جورج صدقتي - د. ليلى الصباغ - د. واثق شهيد - د. شاكر الفحام - د. إحسان النص - د. محمود السيد - أ. سليمان العيسى



مع زميليه عضوي المجمع الدكتور عبد الله واثق شهيد رحمه الله والدكتور مازن المبارك



الراحل الكبير الدكتور موفق دعبول مع زميله عضو المجمع الدكتور هيثم الخياط.. رحمهما الله



مع أمين مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور محمد مكّي الحسني الجزائري



مع زميله في المجمع الأستاذ شحادة الخوري .. رحمهما الله



من اليمين: عضو المجمع الدكتور ممدوح خسارة رحمه الله

ونائب رئيس المجمع الدكتور محمود السيد

- أن بعض الكسور لا تجبر.
- أنه يمكننا الوصول إلى نتيجة صحيحة بأكثر من طريقة، فلا تظنن أن وحدك صاحب الحقيقة، وأن كل من خالفك مخطئ.
- أن لكل مجهول قيمة، فلا تحتقر أحداً لا تعرفه.
- أن ثمة شيئاً اسمه مالا نهاية، فلا تكن محدود الفكر والطموح.
- أن العدد السالب كلما كبرت أرقامه صغرت قيمته، كالمتعالين على الناس كلما ازدادوا تعالياً صغروا في عيون غيرهم.
- أن لكل متغير قيمة تؤدي إلى نتيجة، فاختر متغيراتك جيداً لتصل إلى نتيجة مرضيك.

ولقد عقّب رحمه الله على هذه الأقوال قائلاً: أخي الغالي: علمتني الحياة أن عزيزي الدكتور محمود موسوعي رائع حضاري بقلب كبير وفكر حقيقي حفظك الله ورعاك.

ورددت عليه قائلاً: أخي الدكتور موفق: وأنا بدوري علمتني الحياة أن عزيزنا الغالي الدكتور موفق ذو قلب كبير وعقل مستنير، وجدير بكل احترام وتقدير، حفظه الله وحماه، ومدّ في عمره ورعاه.

لقد كان صديقنا الراحل أريحياً بكل ما تحمله كلمة أريحية من معنى، إذ إنه كان يرتاح للعطاء، ويشعر بالفرح والمسرة عندما يقدم خدمة لصديق، ولم تكن الابتسامة لتفارق محياه أمانة على سعادته عندما يلبي طلباً لصديقه، ومما أتذكره في هذا المجال أنني طلبت إليه مساعدة طالبة متفوقة إلا أن وضعها المادي سيئ، وذلك بأن تكون دراستها في جامعة القلمون الخاصة، التي كان هو رئيسها لها آنذاك، بطريق منحة جامعية، فاستجاب

مشكوراً. وعندما احتل الأمريكان العراق لجأت إلى سورية كوكبة من أطر
تدريسية جامعية، ومن بين هؤلاء اللاجئيين صديق متخصص بالعلوم وابنه
متخصص في المعلوماتية، وكانا في أمس الحاجة إلى المساعدة، فرجوت
الأستاذ الدكتور موفق أن يساعدهما، فما كان منه رحمه الله إلا أن وفرّ موقعاً
للدكتور المتخصص في المعلوماتية في إحدى الجامعات الخاصة، وفعلاً لا
يعرف الصديق إلا في وقت الشدة والضيق، وكان رحمه الله هو ذلك
الصديق المعطاء، والمفضل، والأريحي والوفي.

كان صديقنا الراحل طيب القلب، رقيق الشعور ومرهف، عذب الحديث
وواضح الفكر، وصريح الكلام، وما عرفت فيه إلا الخلق الكريم وحرصه على
إتقان الأداء، ومساعدة الآخرين، وهذه الصفات كافة جعلته محترم الرأي في
جميع المواضع التي عمل فيها، ومحبوياً من الجميع بفضل تواضعه وإخلاصه
ووفائه لأصدقائه ووقوفه إلى جانبهم، وتعد قيمة الوفاء من أسمى القيم وأنبهأ،
ورحم الله أستاذنا المجمعى الراحل عبد الكريم اليافي الذي قال:

إن الوفاء سجية لا يزدهي بجمالها إلا كريم العنصر
وثمة مقولة تشير إلى أن شخصية المرء لا تعرف إلا في أثناء السفر،
ذلك لأن السفر يسفر عن السلوك والتصرفات، وفي هذا المجال لا يمكنني
أن أنسى سفرتنا معاً إلى مؤتمر أقامته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم
والثقافة (الاسيسكو) في الرباط عام ٢٠٠٠، وكانت قرينته الفاضلة السيدة
أم يمان برفقته في تلك الرحلة، ولكم أعجبت بمعاملته الحضارية الراقية في
سلوكاته وتصرفاته تجاه رفيقة دربه مد الله في عمرها، وغني عن البيان أن
الشخصية المتكاملة تأبى إلا أن تتجلى في جميع المواقف.

ومن هذه المواقف أيضاً عنايته ببناء العمارات البشرية، إذ إنه قدّم للوطن أربعة أطباء مشهورين بكفائتهم، وما كان لهذه الشهرة أن تتجلى إلا بفضل الرعاية الحانية لفقيدنا وحرمة المصون.

إن فقدك أيها الصديق الغالي خسارة كبيرة ليس لأسرتك فقط، وإنما لأصدقائك، وعارفك ومجتمعك وأمتك، خسارة للعلم والثقافة، ومعدرة إذا كنت لم أتمكن في هذه العجالة من إيفاء مجدك حقه، ولكن ستبقى حياً في نفوسنا وخفقا في قلوبنا ومثلاً في تطلعاتنا إلى ما فيه نبل الحياة وشرف الانتماء والتفاؤل بمستقبل الأمة.

إننا نتقدم من أسرة الفقيد وحرمة الفاضلة وكريمته الدكتورة لينة والدكتورة أماني وابنيه الدكتور يمان والدكتور بشر وآل دعبول الكرام وذويه بأصدق التعازي، ونسأل المولى تعالى أن يتعمد فقيدنا بواسع رحمته سعة ما قدمه لأمته من أفانين العلم والثقافة، وأن يجزيه عن خدماته أوفى الجزاء، وأن يسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وذويه وأصدقائه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

* * *

كلمة صديق الفقيه
الدكتور خضر الأحمد
ألقاها الأستاذ مروان البواب

هذه الكلمة أرسلها إلينا الأستاذ الدكتور خضر الأحمد من ألمانيا،
ورغب إلينا في أن يشارك بها حفلة التأيين هذه.
وأستاذي الدكتور خضر الأحمد من الزملاء الخللص للدكتور موفق
رحمه الله؛ زامله في قسم الرياضيات في كلية العلوم أكثر من ثلاثة عقود.
وكان الدكتور خضر من خبراء مجمع اللغة العربية بدمشق، شارك في
أعمال لجنة الرياضيات، وكان من نتائجها إصدار المجمع لمعجم مصطلحات
الرياضيات قبل أربع سنوات، وهو من تأليف الدكتور موفق دعبول، والدكتور
خضر الأحمد، والدكتور بشير قابيل، والأستاذ مروان البواب.

* * *

والآن إلى كلمة الدكتور خضر الأحمد:

في ذمة الله ما ألقى وما أجِدُ أهذه صخرةٌ أم هذه كبدُ
قد يُقتلُ الحزنُ من أحبابه بُعدوا عنه، فكيف بمن أحبابه فُقدوا
رحلتَ عنا وقلبي يتفطرُ على فراقك يا أكرمَ الناس وأقربهم إليّ.
لكنْ ليس لنا إلا أن نسلّم بقضاء الله وقدره، فله ما أخذَ وله ما أعطى،
وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسمّى.

ونحن حيثما ولينا وجوهنا بعدك، فإن طيفك لا يفارقنا، وذكراك لا
تغادر أرواحنا؛ إذ إننا نجد أنفسنا أمام إنجازٍ أصيلٍ قدّمته لبلدك في المجال
التربويّ والتعليم الجامعيّ بعامة، والعلوم الرياضية بخاصة.
وقد يسّر لي القربُ منك في السنوات الخمسين الأخيرة الاطلاعَ على
الكثير من هذه الإنجازات:

في مقدمتها: الكتبُ التي ألفتها في علم الجبر، والتحليل الرياضيّ،
والتحليل العُقدّيّ، ونظرية المعادلات التفاضلية، وميكانيك السوائل، وغيرها.
لقد تبوّأ فقيدنا الكبير الكثيرَ من المناصب العلمية الرفيعة؛ فكان عضواً في
العديد من اللجان والمجالس الجامعية؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:
رئاسة قسم الرياضيات بجامعة دمشق، والوكالة العلمية للجامعة،
ورئاسة تحرير مجلتها العلمية، وعضوية مجمع اللغة العربية بدمشق،
ورئاسة جامعة القلمون الخاصة وهي أول جامعة خاصة في سورية، ورئاسة
تحرير عدة مجلاتٍ للبحوث العلمية والثقافة المعلوماتية، ورئاسة لجنة
معجم مصطلحات الرياضيات.

وكانت دار الفكر في دمشق كرمته بوصفه (شخصية العام العلمية)
ضمن مهرجان دار الفكر للقراءة والإبداع.

وإنني ما زلت أذكر جهودَه المضحية التي بذلها في تأسيس كلية الهندسة المعلوماتية عام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعةٍ وتسعين، والتي تحوي أقسامَ هندسة البرمجيات، ونُظَمَ المعلومات، ونُظَمَ التشغيلِ والشبكات، والذكاءِ الصُّنعيِّ. وكم كان من العدل قيامُ وزارةِ التعليمِ العاليي بتسميتها (كلية موفت دعبول للمعلوماتية).

كان فقيدنا الغالي موسوعيِّ الثقافة، وبوصفه مربيًّا فقد أولى الدراسات التي تناول العلاقة بين العملية التعليمية والقيم الأخلاقية في كلِّ ما يتخذه من قراراتٍ وأحكام.

وما زلت أذكر أنه حين كان وكيلاً لجامعة دمشق، نجحَ بعد مساعٍ مرهقة، في تنفيذِ قرارِ إيفادِ عددٍ من الذين لم تُنقذَ قراراتُ إيفادهم دون وجه حقٍّ. وأنا أعلم علم اليقين أن ما فعله الدكتور موفت لا يمكن أن يتحمَّل مسؤوليةَ القيام به أحدٌ سواه.

وما زلت أذكر سعادته الغامرة التي ارتسمت على محيَّاه إذ ذاك.

وعندما هنَّأته بنجاحِ المهمةِ الشاقةِ التي تصدَّى لها قال: (قاتلَ اللهُ الظلمَ والظالمين، والحمدُ والشكرُ لله على أخذِهِ بيدي وتمكينِي من إيصالِ الحقِّ إلى أصحابه).

رحمك اللهُ أيها الأخُ الغالي، وجعلَ جنةَ الخلدِ مثواكَ، وألهم ذويكَ ومحبيكَ وكلَّ مَنْ يلوذ بك الصبرَ والسلوان.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.. والسلام عليكم.

كلمة طلاب الفقيه الدكتور محمود باكير

السلام عليكم ..

ثمة قول معروف وهو أنه: «توجد الأشياء حينما تُدرك» والقيم الإنسانية، كونها مفاهيم مجردة، لا تدرك إلا إذا تجسدت بإنسان، وعبر عنها بمواقفه. فليس من السهولة إدراك المجردات. وهذا ما تستنبطه فلسفة القدوة، وضرورتها في الحياة.

وربما هذا عين السبب الكامن وراء بعث الرسل. لهذا لم يكتف الخالق بشرائعه، فأرسل الأنبياء كي يجسدوها. وعلى خطأ هؤلاء، ومن وحيهم نجد، بين ظهرانينا، مسيرة حياة بعض الأشخاص الأنقياء، تجسد عديداً من القيم السامية التي ترنو إليها النفوس التواقّة لكل ما هو رفيع. ومن هؤلاء الذين عرفناهم عن قرب، فقيدنا، بل فقيد الوطن، معلمنا وقدوتنا الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله وأسكنه واسع جنانه... فقد كانت مسيرته الشخصية الفريدة تشع بأسمى أنواع القيم. ومنها ما كان مفظوراً عليها، وأخرى كانت حصيلة إعمال عقله الراجح الذي تميز به. فقد أفضى لي يوماً، أن مدة عمله في ليبيا، في ستينيات القرن المنصرم، وهو لم يزل في ريعان شبابه، كانت أول

محطة لمراجعة ذاته وإعادة ترتيب أولوياته. فقد كان - رحمه الله - يراجع نفسه بنفسه، وهذا هو حال كل عصامي في هذه الحياة. وهو بهذا شاطر الرياضيات في واحدة من أهم سماتها، وهي «الخلق الذاتي». وهذا كان حال فقيدنا الذي عمل على نفسه طيلة حياته. ولهذا فإن حديثنا عن قيمه قد لا ينتهي. بيد أن استحضار بعضها ضرورة تربوية ووطنية، فضلاً على أنها معين نرتاض منه. وخاصة مع ما نعيشه، في أيامنا هذه، من شيوع شظف الأخلاق، الذي أفضى إلى شظف العيش، بعد كل ما حلّ بوطننا. والبعد القيمي في سيرورة استنهاض الأوطان ورفعته من أصعب ما يواجه تلك السيرورة. وهذه القيم بدأنا نفتقدها مع أنها تعد من «برمجيات» المواطنة الصالحة، التي تعمل الدول المتحضرة جاهدة لخلقها عند مواطنيها. ومن بُعِ قيمه الذي «وردناه صفوا»، نبذ كل أنواع التعصب. وكان يقول لي: إذا أردت أن تسوّق فكرة ما فلا تتعصب لها. وهذا على نقيض ما يقوم به معظمنا. مع أن التعصب لأي فكرة يئدها في مهدها. وخاصة، من المعروف، أن شدة قناعتنا بصحة أمر ما ليس له علاقة بصحته. وهذا ما نحن في أمس الحاجة إليه. فنلاحظ كيف أن عقله الجدلي وازن بين هذين الأمرين. وأحد مظاهر مقتته للتعصب، بكل أنواعه، هو انفتاحه المعرفي على عديد من الحقول المعرفية الأخرى على الرغم من شغفه بالرياضيات وتفوقه بها. فلم تستحوذ الرياضيات وحدها على اهتمامه، ليبقى أسيرها، ولتكون معارفه وحيدة البعد لا تثمر سوى الصدى. وقد تجلّى ذلك الانفتاح - لمن يعرفه عن قرب في طريقة مقارنته لعديد من القضايا، والتي يمكن أن أعبر عنها بمفهوم قد يكون جديداً، وأجد من المناسب تسميته «التفكير البنيوي»، ولهذا مبرراته الرياضية. وصحيح أنه كان عفويّاً لديه، بيد أنه كان حصيلة معرفية أفضى إليها دأبه الذي عرف عنه. وقد لا يستطيع أحد

التحلي به، إلا إذا كانت معارفه الرياضية واسعة، ومنفتحاً على العلوم الأخرى. إضافة إلى أنه لا بد من تفاعل معرفي بين الرياضيات وتلك العلوم. وهذه كانت إحدى أبرز سماته الشخصية التي تتطلب وقفة خاصة، وقد تكون حكمته المعهودة نابعة من ذلك. ويمكن التطرق إلى بعض الأمثلة من آثاره المكتوبة. منها ما ورد في متن المحاضرة التي ألقاها في ندوة «واقع المعلوماتية في سورية وآفاقها المستقبلية» التي أقامتها الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية في مكتبة الأسد عام ١٩٨٨. فقد تميزت مقاربتة بأسلوب فكري خاص، لا مجال للخوض فيه الآن. والجديد فيه أن الرياضيات، بالنسبة إليه، لم تكن مجرد تراكم معلومات، كغيره، بل آلت إلى منهج للتفكير، لا يبلغه أحد إلا في حالات خاصة. وشرطه اللازم تحوّل المعلومات الرياضية إلى معارف شخصية عند دارسها من خلال تقطيرها العقلي لتؤول إلى سيالة فكرية. لأن المعلومات، بحد ذاتها، تبقى معزولة عن حاملها، ليس لها أية قيمة إن لم تثمر شيئاً حياً يمكن الاستفادة منه، وهو المعرفة. فالمعلومات يمكن تداولها، على خلاف المعارف، التي تقرن بصاحبها وتميزه، لهذا لا يمكن أن نستلّها منه. فقيمة الإنسان العلمية بمعارفه، وليست بمعلوماته. وهذا عين ما جسده طراز تفكير فقيدنا..

كما كان الراحل صاحب مدرسة في مواجهة الصعاب التي كانت كثيرة في حياته، وخاصة في مرحلة شبابه. ومن أهم سماتها الحكمة، وصبره على الأذى لمعرفته أنه: «لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ». إضافة إلى ما كان ينعم به من روح التسامح، ومن كاظمي الغيظ والعافين عن الناس. بل كان يشفق على كل من كان يسعى للانتقام. لذلك حافظ على نقائه الفطري، وسموه، ورفعته وعلى سلام داخلي يعزُّ وجوده.

وليعذرني الحضور إذا قلت إن فقيدنا الراحل يستحق أكثر مما يمكن أن أبوح به. فما أعرفه عن هذا الصرح الكبير يحتاج سفرًا لنوفيه حقه. وصحيح أن الله منّ علي بصداقته بعد أن كان أستاذنا، وصاحب فضل علي لا أنساه، بيد أن دوافعي لإنصافه، كقامة علمية وإنسانية يندر وجودها، ليست من ذلك بشيء. فلم أقل شيئاً لا يستحقه، بل لم أقل كل ما يستحقه. فلم أزل أراوح عند شواطئ سجايا، وقد لا يسمح الوقت للإبحار إلى أعماق مكنوناته. وخاصة أنه كان - رحمه الله - نبراساً يجسد في سلوكه الشخصي ما أصبح معروفاً أكاديمياً باسم «المسؤولية الخلقية للعلماء». والحديث عنها يتطلب متسعاً من الوقت. مع أنها مسألة ضرورية وملحة في جامعاتنا. وخاصة أن ثمة عوزاً مرضياً فيها عند كثير من العاملين العلميين لدينا. وهذا العوز المدقع يكبح أي مسيرة نهضوية ويجهضها، لأنه يجردنا من القيم. وقد جسد فقيدنا بسلوكه تلك المسؤولية في كل المواقع الإدارية التي تشرفت هي بوجوده. وتنبع أهمية تلك المسؤولية من أن معظمنا - للأسف - يفصل في عمله بين الشق العلمي والشق الأخلاقي على الرغم من وجوب تحايثهما. فقد بقي هذان الشقان عند فقيدنا متلازمين طيلة حياته.

واسمحوا لي في هذا التابين أن أستحضر الذكرى العطرة لأساتذتنا الأفاضل الذين رحلوا عن دنيانا، بعد أن نهلنا من بحر علومهم، وتذوقنا من فيض قيمهم وأخلاقهم، وقدموا زاداً علمياً كبيراً لطلابهم ووطنهم، وفي مقدمة هؤلاء أستاذنا الدكتور عبدالغني الطنطاوي، أول من حمل شهادة الدكتوراه في الرياضيات في سورية، وكان مدرسة في العلم والأخلاق. ولم يتح لنا معرفته عن قرب. فقد غادرنا إلى بلد آخر، وبقي هناك إلى أن ارتقت روحه إلى بارئها في غربته. كما نستحضر ذكرى أستاذنا الكبير الدكتور

صلاح أحمد، سليل العلم والأخلاق والوطنية، الذي كان رائد الرياضيات الحديثة في سورية. وكم اغتنيت شخصياً بمعرفته عن قرب. رحمة الله عليهما. فقد كان كل منهما نبزاً في أخلاقه، وكنزاً في عطاءه. ولا يسعنا إلا أن نقول: كم كان جيلنا محظوظاً بهذه المنارات التي يعزّ وجودها، ومن المحزن أننا لم نستفد من عطائهم، أو من سجايهم، كما يجب. وكثير منا لم يقدرهما في حينه. فطوبى لمن عاش حياتهم، وتمثل قيمهم، ونهل من معارفهم، ولا يكفي مجرد الاحتفاء باستحضار ذكراهم. بل يجب أن يكون جُل ما ننشده هو أن يكون ثمة نصيب من سجايهم الطيبة في حياتنا، وخاصة لمن كان منا يعيش «تحت خط القيم».

ويقول بعضهم: إن أبعاد الحياة ثلاثة: طول وعرض وعمق. فطول الحياة هو المدة التي يعيشها الإنسان، وهو مقدار عددي يقاس بالسنوات. وعرضها يتضمن نشاط الإنسان، وحيويته، وصحته، وإقباله عليها. وأما عمقها فهو تأثير الإنسان في بيئته ومجتمعه. ومن هذا البعد الأخير ينبعث محط اهتمامنا في حياة عظمائنا. ومنه تسطع مدرسة فقيدنا لتمحو «أمية» بعضنا في العلم والأخلاق.

وختاماً، هذا غيض من فيض سجايا فقيدنا الراحل، وهو ما طفا على سطح ما تكتنزه إنسانيته الغنية المعطاءة التي لا تنضب. فحديثنا عنه يسعدنا، ويغني وجداننا، ويحيي اليباب فينا، وقد يكون بلسماً يعوّض جزءاً من ألم فراقه. فكل نفس ذائقة الموت، ولا نقول إلا ما يرضي الله. ولهذا نبتهل إلى الله تعالى أن يكون مثواه الجنة.. والصبر والسلوان لعائلته وأحبته. فرحل عنا المربي، بيد أن الصّوى التي أقامها باقية تنير طريق محبيه إلى كل ما فيه خير هذا: والخلود لكل المخلصين من هذه الأمة.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة آل الفقيد يلقيها نجله الدكتور بشر دعبول

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فإنني أستهل حديثي هذا بأن أتقدم باسمي واسم أسرة الدكتور موفق دعبول بخالص الشكر والامتنان لأسرة مجمع اللغة العربية في دمشق ممثلة برئيس المجمع الأستاذ الدكتور مروان المحاسني؛ ولأسرة جامعة دمشق ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين؛ ولكل محبي وأصدقاء وزملاء الوالد الراحل الذين أكرمونا اليوم بمشاركتهم إيانا تأبين الوالد الدكتور موفق دعبول طيب الله ثراه وأكرم نزله ومأواه.

وبعد فاسمحوا لي؛ أساتذتنا وأهلنا وأحبابنا بأن أستفيد من هذا اللقاء بأن يكون امتداداً لعمل الوالد الراحل؛ وثمرة من ثمرات زرعه وحرثه؛ ولئن كان ثناؤنا عليه قد لا يصل إليه؛ إنَّ ثواب علمه الذي يُنتفع به، وأثره الذي يبقى ويمتد، يصل إليه بإذن الله، ويُضاف إلى صحيفة أعماله.

لقد كان الدكتور موفق أستاذاً وعالماً ومفكراً وزوجاً صالحاً ووالداً ومُربياً وأشياء أخرى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها جميعاً، ولقد أظن

أساتذتنا الأفاضل في الحديث عن بعض هذه الجوانب فأجادوا وأحسنوا.
وسأتحدث معكم إن أذنتم لي عن جانبه الذي يخصني وهو الدكتور موفق
الأب المربي الحنون الدافئ.

أشارككم اليوم ثلاث قصص قصيرة، أنعم الله بها علي، إذ حظيت من
خلالها بأن أتعرض لحكمة والدي، وعمق تربيته، ولطف مقاربتة، التي
تركت فيّ وفي إخوتي، وفي الكثير ممن حولنا أثراً كبيراً عميقاً لا يزال ننعم
به حتى اليوم.

القصة الأولى كانت عندما كنت في السادسة من عمري، إذ أردت يوماً
أن أستمتع بمتابعة السقوط الحر لقشرة موزة ألقيتها من شرفة منزلنا في
الطابق السادس. إلا أن هناك من أفشى سرّي، فنمى إلى علم والدي بطريقة
ما، أنني فعلت هذه الكبيرة في عُرفه، فما كان منه إلا أن استدعاني وطلب
مني بطريقته الهادئة الحانية المحبة أن أنزل ستة طوابق لأصل إلى الشارع
وأبحث عن قشرة الموزة، فألقتها وأرمي بها في سلة المهملات. وللعلم
فإن شارعنا لم يكن بتلك الدرجة من النظافة، ولا أدري إن كنت قد التقطت
نفس القشرة أم كانت قشرة من طفل آخر، إلا أنني أعرف جيداً أنني تعلمت
درساً عميقاً في المواطنة، جعلني أشعر من يومها أن الوطن هو بيتي الثاني،
وأن عليّ أن أحرص عليه، وعلى صلاحه، كما أحرص على بيتي الداخلي.
وبدلاً من أن يولّد هذا التصرف فيّ ردة فعل سلبية تجعلني أنقم على والدي
وعلى نظافة شارعنا، فإن لطف مقاربة الوالد، وحنوّه وحبّه، كل ذلك جعل
هذه المواطنة ديناً يسري في عروقي، ولا أدعي في ذلك أي فضل، فالفضل
بعد الله يرجع لوالدي، ولأسلوبه التربوي الدافئ المتقدم.

أما القصة الثانية فقد حصلت عندما كنت في الصف السادس الابتدائي، حيث كانت معلمتي واحدة من تلاميذ الوالد في الجامعة، ممن كان يعشق الوالد ويُجِلُّه ويُكْرِمُ له كل المحبة والاحترام.. وكان أن بدر مني تصرف لا يليق بابن الدكتور موفق، فما كان من معلمتي إلا أن قالت لي: «كلُّ وردة تُخلف شوكة»..

ولكم أن تتخيلوا كم أثرت بي هذه العبارة، كيف لا وأنا الذي لطالما عشقت والدي، ولطالما تأملتُه وتابعته وسمعتُه ورافقتُه وقلدته ولبست ثيابه بل وشممتُه، وحلمت مراراً بأن أحذو حذوه، وأن أسير على دربه وخطاه، لأبلغ بعضاً مما وصل إليه، وأحقق شيئاً من إنجازاته وأعماله.. أيعقل بعد هذا كله أن أكون الشوكة التي خلفتها الوردة الجميلة الرائعة. ولكم أن تتخيلوا، أحبابنا، الأثر العميق الذي تركته هذه العبارة في نفسي الطفولية الهشة، فما كان مني إلا أن أتيت والدي، وإلى من غيره ألجأ، وأخبرته بما حدث معي، والعبرات تخنق كلماتي..

ابتسم الوالد وبعد لحظة صمت، طلب مني أن أحضر ورقة رسائل، ولقنتني كلمات أرسلها لمعلمتي أعتذر فيها عن تصرفي غير اللائق، وأعدها أن أعمل جاهداً لأصبح ثمرة يانعة تخلفها الوردة، بدل أن أكون شوكة في ساق الوردة تشوُّك من يقترب منها.

قدمت الرسالة لمعلمتي في اليوم الثاني بخجل، فما كان منها إلا أن قرأتها بسرعة ثم وضعتها بعناية في جيبها، ولمحتُ دمعاً تترقرق من عينيها، إذ إنها علمت مباشرة أن هذه الكلمات لم تكن كلماتي، بل كانت كلمات أستاذها الجليل، إلا أن هذا كان كافياً لأن يشفع لي عندها، ولأن يعلمني

كيف أتصرف بإيجابية حيال أي موقف سلبي أتعرض له، فأحوله بشكل أو بآخر، إلى فعل إيجابي يشحذ همتي، ويحسن أدائي وأداء من حولي دون أن يؤدي إلى نكوصي أو تراجعني.

والجدير بالذكر أنني زرت معلمتي بعد سنوات من هذه الحادثة وكم أدهشني عندما أخرجت لي رسالتي هذه من جيب دفترها، وكان واضحاً أنها قد قرئت مئات المرات، ولم يكن يخفى علي أنها لم تكن تقرأني من خلال سطورها بل كانت تقرأ معلّمها وتقرأ الرسالة الإيجابية الخفية التي أرسلها لها، والتي قرأتها خلف أسطر وكلمات رسالتي البريئة.

أما القصة الثالثة فلعلها الأعمق أثراً علي، والأحدث عهداً إذ إنها حصلت قبل سبعة أعوام عندما تعرّضتُ لمحاولة قتل قرب عيادتي، وكان أن كتب الله لي النجاة، إلا أنها تركت علي أثراً صحياً بالغاً جعلني أفكر ملياً بمغادرة البلد ولو بشكل مؤقت، لأبتعد عن الخطر، ولألمّ شتات نفسي، ولعلي أبدأ بداية جديدة في وطن جديد، كما فعل الكثير من طيور بلادي المهاجرة. وكان أن شجعني الأهل والأحباب بل وضغط علي الكثير منهم، حتى إنني حزمت حقائبي وحجرت تذاكر الطائفة ولم يبق لي سوى أن يقول لي الوالد: «سافر على بركة الله».

إلا أنه لم يفعل.. عجبت يومها لموقف والدي، وتأمّلت به كثيراً، ولم أفهمه جيداً، بل إنني طلبت من بعض ممن أثق به، وأعلم أن كلمته مسموعة لدى الوالد أن يُحدّثه في هذا الشأن، بل وتبرع العديد من أهلنا وأحبابنا بأن يفعلوا ذلك. إلا أنه أصرّ علي موقفه قائلاً: بأنه يمكن ليشّر أن يغادر وأنا راضٍ عنه، إلا أنني لن أطلب منه ذلك بل أطلب منه أن يترى، وإن أصرّ علي

المغادرة فليترك أبناءه عبادة وعبد الرحمن عندي، ليتموا تحصيلهم العلمي في كنفني وتحت إشرافي. طبعاً حسمت أمري، وقررت أن أبقى في دمشق، وأنى لمن كان له والد يعشقه ويثق به كوالدي أن يخالفه أو أن يحيد عن نصحه وإرشاده. ومرت الأيام وأثبتت لنا الحوادث أن ما اختاره لي الوالد كان هو الصواب.. فرغم كل الصعوبات والمخاطر والمعاناة التي تعرضنا لها، ويتعرض لها كل من أخذ القرار بأن يبقى في هذا الوطن، فالعبرة والمناط ليس بمقدار رفاهية وسهولة ورغد العيش التي يمكن تحقيقها هنا أو في المغرب، وإنما بمقدار الأثر الإيجابي الذي يمكن للمرء أن يتركه هنا أو هناك، والذي سنحاسب عليه إن عاجلاً أم آجلاً. وأحسب أنه، وأتكلم هنا عن شخصي ولا أعمم، كان يمكن أن أضيع أنا أو أبنائي فيما لو أخذنا قرارنا بالاغتراب، مقتنعين بذلك جذورنا من تربتنا الصالحة، لنحاول غرسها في تربة جديدة قد تلائمها وقد ترفضها، إلا أن المؤكد أنه سيكون غرساً جديداً وسيحتاج إلى وقت قد يطول قبل أن يبدأ بأن يؤتي ثماره..

الله تعالى أدعو أن يجعل ثواب كل عمل صالح أقوم به أنا وأخي وأخواتي وأبناؤنا وبناتنا واصلاً إلى صحيفة أعمال والدنا الراحل الدكتور موفق دعبول، اللهم اشهد أنه لم يأل جهداً في تربيته ونصحنه وإرشادنا وتوجيهنا، والصبر علينا وعلى همومنا وآلامنا ومشاكلنا وأعبائنا، وأنه كان نعم الأب ونعم المربي ونعم الصديق ونعم الموجّه، ونعم المعلم، ونعم المحبّ..

اللهم إيتك أدعو أن تبلغه جنتك وأن تلحقنا به وذرائنا في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركات